١٩٦٧. وما التركيز على التنظيم شبه العسكري في الخارج، والمطالبة بفتح الدول العربية المحيطة باسرائيل حدودها لتحرّكات منظمات المقاومة، الاّ من قبيل وَقر تلك الفكرة في اطار التخطيط العملياتي الفلسطيني.

ويمكننا القول، ان الانتفاضة، في طورها الراهن، تشكّل المرحلة التي تسبق الثورة وحرب التحرير الشعبية وتُعدّلهما، وفيها تضيع جبهات التلاحم والاشتباك، فيتداخل بعضها في بعض حتى لا تبين خطوطها. وهي تعبير عن ارادة شعبية تريد ان تنجز مهمة ثورية محدّدة، وتتسلّح بروح نضالية استشهادية تفوق، في تأثيرها، قدرة الأسلحة القتالية.

ويبدو من وقائع الانتفاضة، طوال هذه المدة من عمرها، ان قيادتها التزمت، في الطور الراهن من النضال الانتفاضي، بأربعة شروط: ان يشكل الصراع مع العدو حالة يومية من الاشتباك الدائم، وان يكون كادر المقاومة الشعبية ذا تربية واعداد نضاليين، وان يكون الشعب هو صاحب الدور الأساسي في المقاومة، وان يكون السلاح المستعمل معبّراً عن ارادة الشعب في التحرير، وليس أداة للقتل.

وان مراجعة سريعة لبيانات القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة تعطي انطباعاً واضحاً بأن عمليات المقاومة ترتبط، ارتباطاً وثيقاً، بنظرية كلاوزوفيتز، المفكّر العسكري الاستراتيجي الالماني، التي تقول ان الحرب استمرار للسياسة، ولكن بوسائل أخرى. واذا كانت قيادة الانتفاضة تعمل في ساحات المقاومة ضد الاحتلال، فان السياسة تشكّل قطاعاً رئيساً من قطاعات منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي هذا المجال المشترك للسياسة والمقاومة، أودّ ان أعرض النقطتين التاليتين:

١ ـ عمر الانتفاضة عام ونصف العام. وهي لا تزال حافظة على العهد، قاصدة الهدف، قوية البنية، لم تثخنها الجراح، بل زادها الزمن صموداً وخبرة وطاقة تحمّل ومصابرة.

٢ ـ حَمَلَة رايات الانتفاضة ينتمون الى تنظيمات وتوجّهات سياسية عدة. وهذا أمر طبيعي عرفته جميع حركات التحرير الوطني في التاريخ المعاصر. وعلى الرغم من ذلك، لم تعرف الانتفاضة انشقاقاً في صفوفها. وتفسير ذلك، في رأيي، يعود الى عاملين: أولهما، ان عوامل وشروط المواجهة الميدانية لم تتغيّر، بعد، الى الحد الذي يتطلب وضع استراتيجية جديدة، أو معالجة جديدة، تتعامل مع تلك المتغيّرات؛ وثانيهما، ان قيادة منظمة التحرير ترصد، بدقة وحسبان، منعكسات الانتفاضة، فلسطينياً واسرائيلياً وعربياً ودولياً، وتتعامل مع تلك المنعكسات من قبيل توظيفها لمصلحة الأهداف التي حدّدها المجلس الوطني الفلسطيني.

وفي هذا الصدد، لا بدّ لنا من ان نلاحظ ان هناك خلطاً بين العنف والقوة. ولقد حلّل هذه النقطة كلاوزوفيتز، فرأى ان القوة هي تنظيم الجماهير. وحينما نقد لينين أخاه، أخذ عليه انه مال الى العنف، وقرّر ان التنظيم مقدَّم عليه.

وفي مرحلة الاعداد للثورة الجزائرية، وجد هناك من يقول بالعنف تستخدمه الكثرة الوطنية ضد القلّة الاحتلالية. ففي الجزائر، يومذاك، عشرة ملايين مواطن، يُجهز كل واحد منهم على أوروبي محتل، وينتهي الامر. وقد جرّبت احدى القيادات في منطقة القبائل هذا الاسلوب، فأمرت تنظيمها هناك بأن ينفّذ عمليات، أدّت، في نهاية الامر، الى كشف التنظيم، والى تذرّع السلطات الاستعمارية بهذا الاسلوب لتشنّ حملة أودت بالتنظيم وأفراده.